## ***الفلسفة اليونانية***

إن التكلم عن الفلسفة اليونانية، ومعرفة العوامل التي أدت إلى ظهور هذه الفلسفة، وتطورها هي من الأمور التي تستعدي النظر، والمباحثة حتى نقف على المنعطفات الهامة التي شكلت مجمل هذا التراث.

ومن خلالهِ، نحاول الإجابة عن الفرضيات الآتية: هل التراث الفلسفي، يونانية بحت أم إنها تأثرت بغيرها من الحضارات؟. ماهيَّ الأدوار التي مرت بها الفلسفة اليونانية؟. ماهيّ موضوع الفلسفة؟.

وبعد تحديد ماهية الفلسفة فيما سبق ننتقل إلى كل ما يلي:

**موضوع الفلسفة في العصر اليوناني.**

إن موضوع الفلسفة تشتمل في البحث عن حقيقة الأشياء وفي الكون و "**الموجود بما هو موجود**" وعوارض النفس من لذة وألم وموت، ومصير الإنسان بعد الموت.

**أساليب التحقيق العلمي.**

تختلف أساليب التحقيق العلمي باختلاف ميادينها ومجالاتها، ومباحث الفلسفة تعتمد على الأسلوب **العقلي** في تحقيقاتها ودراساتها لمسائلها الفلسفية، إلا أنّها قد تعتمد أحياناً على ظاهرة **تجريبية** لتجعلها منطلقاً لدراساتها العقلية والتأمّلية[1].

**كيف بدأت الفلسفة.**

**كان** الإنسان في بداية أمره يصارع الحياة من أجل **غريزة البقاء** ، ولم تكن الحياة سخية بما تكفي حتى تظهر له، قوى **التفكير الذي يحصل به ضرورات العيش.**

**ولكن** الزمن الذي ينسج معالم التغيير كفيلة بأن تجعل من تلك العادات، عادة آلية تمارس من غير شعور، وأخرج الزمن الإنسان من غياهب تلك الغريزة، ومازال به حتى شحذ مواهبه ووسع من نطاق إدراكه فأخذ يحلم بهذا الكون والذي يبعث في النفس اللذة والخوف في آن واحد ، ولكن ما عساه أن تفعل تلك المخيلة، للإرضاء النفس، سوى أن تنتج بعض الأساطير، المؤطرة في قوالب فنية وأدبية، وهكذا كانت" **الميثولوجيا**"[2] بداية التفكير الفلسفي.

- **سؤال نشأة الفكر الفلسفي.**

**أولاً: متى بدأت الفلسفة اليونانية:**

في أحد أيام القرن "**العاشر ق.م**"، وعلى شاطئ مدينة **(ميلتوس)** تولَّد الفلسفة اليونانية، حيث كان **هوميروس**[3] يستهوي العقل اليوناني بقصائده، الأسطورية، بينما هو واقف على شاطئ الوجود، يتغنى بالطبيعة وخالقها.

---

[1]() ومن هذا القبيل النظر إلى بديع صنع الكون وعظمته ثم الانتقال بالتأمّل والاستنتاج إلى وجود مبدع ومنظِّم ومهندس من ورائه وهو الله الخالق المصوّر، وهو ذات الأسلوب الذي اعتمده الإعرابي لإثبات وجود الله جلّ اسمه حيث قال: البعرة تدلّ على البعير وأثر الأقدام يدلّ على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، لا يدلّان على اللطيف الخبير؟!.

[2]() الميثولوجيا: العلم الذي يبحث فيما روي عن الكون، والآلهة، والأبطال من أساطير، ويطلق هذا المصطلح على علم الأساطير نفسها.

[3]() شاعر يوناني كبير عاش بين القرن العاشر، والحادي عشر قبل الميلا، ضاع الكثير من شعره ولم يبقى منه إلا الإلياذة والأدويسا.

أما **هزيود**[4] كان يقف على الجانب الثاني من مدينة **(بوبثيا)** حيثُ الحقول المنبسطة، والفلاحيين، مشغولاً بكتابه " الأعمال والأيام" والذي رصد فيه فكرة العدالة الإنسانية، عن طريق الشعر.

كانت هذه الفترة السيادة فيها **للشعراء**، وللترانيم التي تعزف بجوار بعض المعازف، والتي كانت تهوي بالنفوس، وتشحذ المخيلة بأفكارٍ عن الوجود، والطبيعة، والكون، دون استنادها لعوامل الوحي الرباني، أو العقلاني **(اللوغوس)** .

حتى جاء القرن **"السادس عشر ق.م"** يحمل فجر الحرية، وحدث عل إثرها حدثٌ في الأمة اليونانية؛ انقلابٌ يستدعى فيه "**حرية الفرد وظهور شخصيته**" فخالط اليوناني غيره، وبدأ ينتقل إلى مستعمراته الجديدة التي فتحها، فخالطوا شعوبها، ودرسوا مالها من عادات وأخلاق فوسع ذلك من أفاق تفكيرهم القصصي.

**-العوامل المؤثر في نشوء الفلسفة اليوناني:**

أن هذه العوامل تنقسم الى قسمين: **عوامل خارجية، وعوامل داخلية.**

**أولاً: العوامل الخارجية: وتتضمن كل ما يلي:**

1. **الأثر المصري في نشأة الفلسفة اليونانية:** تأثر اليونان بالمصريين، نتيجة الزيارات التي كانوا يقمون بها **عبر البحر، لغرض بعض النشاطات التجارية**، ومن خلال هذا التبادل تناقلت لهم بعض الأفكار، وإن أوائل فلاسفة الإغريق الذين بدأت بهم الفلسفة "تتلمذوا على مدارسها الفكرية ومن هؤلاء **طاليس، وفيثاغور، وديمقريطس، و أفلاطون** الذي تفيض كتابته عن مصر بالكثير من الأعجاب، كذلك يشهد أرسطو بأن علوم

---

[4]() هزيود، شاعر يوناني عاش في القرن الثامن قبل الميلاد وصل إلينا من شعره قصيدتان ( الاعمال والأيام) ودرع هرقليس).

الرياضيات نشأت في مصر حين توفر لكهنتها الفراغ الضروري للتفكير النظري"

2. **الأثر الفينيقي في نشأة الفلسفة اليونانية:** إن الحضارة الفينيقية، أسهمت في تطوير النظام **اللساني** لدى اليونانيين وأنتقلت إليهم في "**القرن الثامن أو السابع** ق.م، بعد أن أبتكرتها هيَّ في مطلع الآلف الأول ق.م ".
3. **الأثر الهندي في نشأة الفلسفة اليونانية:** تأثر اليونانيين بالهند، وإن التشابه كبير بين كثير من مبادئ فلسفة، ومرتكزات الموقف الفلسفي ، فيما يخص " النفس، والرؤيا الى الوجود، فنظرية **التناسخ** حاضرة عند **الفيثاغورية**، وكذا **الأفلاطونية** في محاورته **(فيدون)** حيث سيرفض أفلاطون المعتقد الهوميري القائل بفناء **النفس** في الـ(هادس)، ويأخذ بالمعتقد الهندي القائل **بالتناسخ**".

**ثانياً: العوامل الداخلية: ويتضمن كل مايلي:**

1. **العامل الديني:** كان تأثير الخطاب الديني على عقلية بعض الفلاسفة واضحاً، فكان **أفلاطون**، ومن قبله **فيثاغورس** ينصح بعدم تدريس، أشعار **هوميروس** للأطفال، لما فيه من إخلال بسمو **الألوهية** "،ولم يعترف كل من " **اناكساغور**، **وسقراط، و أنتيستين، و أفلاطون، إلا بإله واحد، رافضين التعدد الوثني**" وعملية الرفض مهدت الطريق لتصحيح بعض المفاهيم الوثنية الإغريقية، وقد أثمر هذا النقد الفلسفي للدين الوثني **قصائد "لإشيل، وبنداروس تصور الألهة بصورة متغايرة عما كانت عليها"**.
2. **العامل السياسي:** يعد العامل السياسي من أهم العوامل التي أثرت في نشوء الفكر الفلسفي لدى اليونان، بدءاً من " **القرن الثامن ق.م** التي ظهرت فيها مفهوم المدينة ثم تطورت مفهوم السياسة فيها حتى مرت بأنماط مختلفة: **نمط النظام الملكي، ونمط نظام الأرستقراطي، ونظام الأوليغارشي، ومن ثم**

**نظام الاستبدادي الفردي، ومن ثم نظام الديمقراطي"**، وهذا الأخير كان له التأثير المباشر لتغيير **مسار الفلسفة على يد السفسطائيين**[5]، ونزولها من السماء إلى الأرض في **النصف الأول من القرن الخامس** قبل الميلاد كما سيتبين عبر الأدوار التي مرت به الفلسفة اليونانية.

-**العصور التي مرت بها الفلسفة اليونانية:** مرت الفلسفة اليونانية **بعصرين**، وهي على النحو الآتي:

**أولاً: الفلسفة الهيلينية:** كما أشرنا سابقاً إن الفلسفة لم تتكون من عقلية يونانية خالصة بل امتزجت بغيرها من الحضارات إلا أن الفلسفة والعلم قد أرتقت على يد **اليونانيين**، وقد مرت الفلسفة في هذا العصر **بثلاثة أوجه** وهي:

**الوجهة الأولى: الوجهة الطبيعية:** إن النظر في الكون عند الفلاسفة الطبيعيين بدء بالبحث في الطبيعة أو العالم الخارجي بفرضية مفادها ما هيَّ **مصدر الوجود**؟ ومن مميزات الإنسان في هذه المرحلة حاول أن يفسر **الكون** لا عن طريق **الأساطير**، التي أطرها، العقلية اليونانية بل على أسس **علمية** مهما كانت فكرته بسيطة، بحيث كانوا يضعون **الفروض** لفهم **الطبيعة** من حيث **أصلها، ومكونتها**، وما يطرأ عليها من **تغييرات**، ومن ثم إرجاع هذه العوامل الى **الطبيعة ذاتها.**

**فطاليس** مثلاً قال بأن أصل **العالم** هو: "الماء وهي المادة الأولى، والجوهرة الوحيدة التي يتكون منه الوجود".

بينما **انكسمندريس** حاول أن يفسر تكوين الأشياء تفسيراً **آلياً**، حيث قال: " ليس من الممكن أن يكون **الماء** هو أصل الوجود **لأنك لاتدرك الصفة إلا إذا أدركت نقيضها**، فلا تفهم صفة الحرارة إلا إذا أقترنت في ذهنك بالبرودة، فإذا انعدم هذا التقابل انعدمت كذلك الخصائص".

---

[5]() السفسطائيين: مجموعة من المعلمين يقومون بتعليم الناس فنون الخطابة، والجدل، وكانوا يتفاخرون بمقدرتهم على تأييد الرأي ونقيضه.

**وبناءاً على ذلك**، لايعقل أن تكون المخلوقات جميعاً على تناقض صفاتها مشتقة من أصل واحد ذي صفة معينة معروفة إنما أصل الكون مادة **لاشكل لها ولانهاية ولاحدود.**

بينما عاد **أنكسمينس** إلى المادة **الواحدة** التي يتكون منها الوجود وهو في نظره **الهواء** وأستدل على ذلك بمقولته التي بنا عليها هذه الفرضية: "أليس الحياة في صميمها أنفاساً من الهواء تصدر في الصدر شهيقاً وزفيراً إذاً فهيَّ الجوهر الذي عليه جميع الكائنات"

بينما ارجع فيثاغورس: أصل الكون إلى اعداد **رياضية** تتركز في **الواحد**".

إن هذه المحاولات لتفسير الطبيعة من قبل الفلاسفة الطبيعيين: يضعنا أمام **التطور المعرفي** لدى العقلية اليونانية، وسنذكر المنهج المعرفي الذي اعتمدت عليه هذه الفترة، في المبحث المعرفي.

**الوجهة الثانية: النظر في الإنسان**: أنتقل النظر من **الكون** إلى **الإنسان** على يد **السفسطائيين**، **وسقراط**، وأخذ البحث لا يميل الى البحث في **العالم الطبيعي**، بل نحو **الإنسان** وكل ما يتعلق به من قضايا أساسية **كالأخلاق**، **والإرادة** وغيرهما، وهذا التحول جاء نتيجةً للتغيير الذي أحدثه **السفسطائيين** على إثر تغيير النظام **السياسي** في اليونان، كما أشرنا إليه سابقاً

وكان تأثير **سقراط** كبيراً على اليونانيين في هذه الوجهة فنقسم هؤلاء إلى مدرستين: **المدرسة الكلبية**[6]،والمدرسة **القورينائية**[7]

---

[6]() الكلبية،أو التشاؤمية: مدرسة فلسفية تأثرت بسقراط أسسها الفيلسوف أنتيستنيس في القرن الرابع، ق.م. وفلسفتها تقوم على نكرن الخير ، وعدم وجوده في الطبيعة البشرية،مما مهدت الطريق لفلسفة التشاؤم التي أحدثت متأخراً على يد الفيلسوف شوبن هاور، ومن أشهر الشخصيات تمسكا بتعاليم تلك المدرسة ديوجن.

[7]() القورينائية أو القورينية: مدرسة فلسفية تأثرت بسقراط، أسسها الفيلسوف أرسطبس في القرن الرابع، ق.م، وفلسفتها تقوم على، السعادة، ومبدئ اللذة.

**الوجهة الثالثة: البحث المنظم:** وكان يملأهُ **افلاطون وأرسطو**، وتعد من **أهم** المراحل التي مرت بها الفلسفة اليونانية، بحيث كانت البحوث فيها شاملة، ومنظمة عن **العلم والإنسان والأخلاق والطبيعة والنفس**، أشتغل **افلاطون** بالمسائل الفلسفية **كلها**، وجهد نفسه في تمحيصها، ولكنه مزج **الحقيقة بالخيال، والبرهان بالقصة**، حتى إذا ما جاء **أرسطو** عالجها **بالعقل الصرف** ووفق الى وضعها وضع النهائي كما خصص لكل علم **دائرته الخاصة**.

**ثانياً الفلسفة الهلنستية:** ويسمى هذا العصر بهذه التسمية لامتزاج الحضارتين " **الرومانية، واليونانية"** وذلك على أثر حملة **عسكرية** قام بها **الرومان** على بلاد **اليونان** فستولو على **(مقدونية)** وبقية بلاد اليونان **عام 146. ق.م**. مما أدى الى تغيير النظام **السياسي**، وتضعيف العامل **الأخلاقي**، كما أنتهت في هذه المرحلة البحث المنظم الى مرحلة تحصيل **العلوم وسعة الأطلاع والمعارف**، انتقلت بذلك جزء كبير من الحضارة اليونانية الى الرومانية.

وهكذا تنتهي مرحلة **التفلسف اليوناني** إلا أن بوادر **فلسفتها** مازالت ممتدة الى يومنا الحاضر، ومهدت الطريق **لفلسفات أخرى**.

**إن** هذه المراحل في تاريخ الفلسفة تمثلُ وحدات تراكمية مما يمهد الطريق لتطرق لنظريتين أساسيتين لبد من المرور بهما **وهيَّ نظرية المعرفة ونظرية الوجود**، ولكن قبل الخوض فيهما لابدّ أن نتطرق إلى الفلسفة الاسلامية، والعوامل التي أدت إلى ظهور هذه الفلسفة في المبحث الآتي: